

## الحى اللاتينى

### سهيل إدريس

قصة الحى اللاتينى ، قصة شاب لبنانى سافر إلى فرنسا ثم عاد ومعه الدكتوراه فى الأدب العربى . قصة شاب كانت المرأة - وهو فى الشرق - أخطر همومه . فأصبحت - بعد ذهابه إلى باريس - أحد همومه . قصة الصراع بين الأم والعشيقة ، الصراع بين الخضوع لتقاليد تعارض مع سعادة الفرد ، وسعادة الفرد التى تعارض مع هذه التقاليد ، فهى قصة المجتمع المتناقض ، وبالتالي قصة الفرد المذبذب المقسم على نفسه لأنه موزع بين مطالب مجتمعه ومطالب سعادته فى بيئة لا تستطيع أن تجعل من الاثنين كلاً واحداً .

وتتقسم الرواية ثلاثة أقسام : فى القسم الأول نرى شاباً شرقياً يسافر لأول مرة إلى باريس التى طالما كان يحلم بها ، وحين وضع قدمه فى العاصمة الفرنسية ، لم يكن همه إلا هم الشاب المراهق الذى لا شاغل له إلا البحث عن المرأة بحثاً مصحوباً بإشفاق وتهيب وخيبة ، فهو يقول محدثاً نفسه عن المرأة « لقد أتيت إلى باريس من أجلها . والآن أرايت أنك كنت محسوساً فى نفسك ، ساعة كنت تتصور أنهم كثيرات ، كثيرات هنا ، وأنه يكفيك أن تسير فى الطريق ليتهافتن عليك ومحدثتك حديث الهوى » .<sup>(١)</sup>

وتمر صفحات هذا القسم الواحدة تلو الأخرى وأنت تبحث عبثاً عن اسم بطل الرواية ، فالبطل فى هذه القصة لا اسم له ، بل هو مجرد ضمير ، ضمير المتكلم أحياناً وضمير المخاطب أحياناً أخرى وضمير الغائب فى أغلب الأحيان . وها هو مثال يصف فيه المؤلف بطله وهو يحاول الاتصال بفتاة تجلس فى السينما بجواره « ونعم بالدفء الحقيقى ، وظلّ قابضاً على تلك اليد الحلوة الناعمة كأنها الكنتز .. إني لأشعر شعوراً غريباً بأنى بدأت أحبّ هذه الفتاة التى لم

• أبريل ١٩٥٤ .

(١) سهيل إدريس : الحى اللاتينى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ٢٣ .

أرهما، ولأن أعلم من أمرها شيئاً. وفي غمرة من الاندفاع رفع يد الفتاة على مهل وانحنى بحمسه يودعها قبلةً محمومة هامة.. انطلق يا صاحبي، لقد كسبت المعركة<sup>(١)</sup>. وهكذا نرى المؤلف يحوم حول بطله متمتماً بضمائر اللغة من غير أن يذكر اسمه، حتى ليستاءل القارئ. ألا تكون الصلة قوية بين المؤلف وبطله بحيث لم يستطع أن يفصله عن ذاته فيعطيه وجوداً مستقلاً؟ إن الجنين يظل بلا اسم حتى تلده الأم ويفصل عنها فتمنحه اسمه الخاص رمزاً لوجوده المستقل. وهذا مما يذكرنا بفرانز كافكا في قصصه، فقد رمز لبطله بالحرف «ك» وهو أول حروف كافكا نفسه، والمعروف لدى نقاد كافكا أن هناك مشابه كثيرة بين الظروف التي كان يعيش فيها وبين العالم الذي خلقه لأبطال قصصه. كما أنه يذكرنا من جديد ببعض القدماء الذين كانوا لا يستطيعون أن يذكروا اسم آلهتهم صراحةً بل يشيرون إليها بالرمز أو الضمير فحسب. إن عدم وجود اسم لبطل الحى اللاتيني يجعلنا نحس في بدء تعرفنا على القصة كأنما نحن أمام تاريخ شخصي، لم يمرؤ صاحبه على أن يعترف باسمه صراحةً ولا هان عليه أن يبه اسمًا آخر فيجعله غريباً عنه، فتركه يتأرجح بين هذه الضمائر الثلاثة، فهو تارة منه وهو تارة يدفعه بعيداً عنه إلى عالم الغائب وهو تارةً تالفة يوجه الحديث إلى نفسه بضمير المخاطب.

وبطلنا في هذا القسم يمر بتجارب كثيرة قصيرة متجهًا نحو النضج، فهو يغتصب ميعاداً من تلك الآنسة التي جلست إلى جانبه في السيئة ولا يعرفها ويتظرها في اليوم التالي فلا تأتي، ثم هناك ليليان صديقة صديقه الذي رحل، وقد أفهمته أولاً أن الأمر لا يعدو صداقةً بينها، وبعد ساعات أعطته جسدها، ثم اكتشف بعد ما غادرته أنها سرقت نقوده كما سرقت الشعر الذي كانت تقرؤه له مدعيةً أنه من تأليفها. ثم مارجريت التي تعطيه جسدها ثم ما تلبث أن تنفر منه وهو ينظر إليها في بلاهة.. وهناك أمه. هناك في بيروت، تبعث إليه قاتلةً «أعود فأحذرک يا بنى من نساء باريس.. وقاتك الله شربناات الحرام»<sup>(٢)</sup> وهذا هو النذير الذي يظل يعلو ويعلو حتى ما يلبث أن ينشر المأساة على أحداث المستقبل.

ويتذكر «ناهدة» عروسه المزعومة في وطنه. ومن تحذير أمه وصورة ناهدة يتكون جانب من جانبي الصراع الذي يكون في القصة عنصر الدرام.

في هذه الفترة تعرّف بطلنا على قواد الذي قيل في وصفه فيما بعد «إن شخصيته تدعو إلى

(١) الحى اللاتنى ص ٣٢ .

(٢) الحى اللاتنى ص ٧٩ .

التأمل ، وأنا أعتقد أنها شديدة الغنى بإمكانياتها »<sup>(١)</sup> . وقد أحبه بطلنا واحترمه وتمنى أن « يبقى له فؤاد صديقاً أبد الدهر »<sup>(٢)</sup> . وفؤاد هذا هو الذى قال لبطلنا إن المرأة كانت همّة الأول يوم وصل إلى باريس ، ولكنها أصبحت فيما بعد أحد همومه فقط . وكانت له صديقة اسمها فرانسواز دائم الخلاف معها بسبب اختلافها حول سياسة فرنسا نحو مستعمراتها . كما تعرّف إلى تريز خادمة الفندق الطيبة التى تمثل جانب الحياة الطيب الذى لا يعطى ليأخذ بل يجب دائماً أن يتسم ، لأن هذه هى طبيعته رغم مشاكله الشخصية ومشاكل الذين حوله . أما القسم الثانى ففيه يعبر البطل من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الحب الناضج .. حب جانين مترو تلك الفتاة الأتراسية التى تفهم الشرف على نحو مغاير لما تفهمه الفتاة الشرقية<sup>(٣)</sup> فالشرف عندها هو « الإخلاص » وليس المحافظة على بكراتها . لقد رأت خطيبتها يخونها وهما لا يزالان خطيين ، فإذا يفعل معها بعد الزواج ؟ ولهذا قررت رفضه رغم اعتذاره وإلحاحه . وفى باريس أعطت روحها وجسدها « للعربى » - كما حلالها أن تلقبه - ليحصل معها على الحب المتكامل ، لأول مرة<sup>(٤)</sup> . وكان من قبل يحصل عليه فى الشرق محروماً من أحد شقيه . فلم يتذوق الحب الكامل أبداً ، إما عاطفة محرومة من الجسد ، وإما جسد محروم من العاطفة . أما الآن فهو يشاركها فى الجسد والعاطفة والثقافة .

وهنا - وفى غمرة هذا الصراع - نجد وجه أمه يطلّ عليه من جديد ، فخطاباتها ترد إليه وهو لا يستطيع أن يصارحها ، لأنها لاتقره على شىء من هذا . وهو الآن يريد أن يكون مستقلاً عن أسرته تماماً ، فقد كان كل سرّ مباحاً لهم . أما الآن فيجب أن يتصرف وحده . إنه يجاهد فى المعركة لكى يخرج عن روابط أسرته التى تشده وتقف عقبةً فى سبيل سعادته . ولقد سافرت جانين إلى خالتها المتزوجة فى إحدى مقاطعات فرنسا ثم عادت غاضبةً لتنسى غضبها بين أحضان حبيبها ، وبدأت موارد المالقة تنضب ، فعملت بائعةً فى فرع لثياب الأطفال بأحد المحلات التجارية ، وكان عليها إما أن تنقطع عن مقابلة حبيبها وإما أن تنقطع عن دراستها للصحافة ، لأنها حاولت أن تجمع بينهما إلى جانب العمل فأنهكت قواها ، وقد اختارت الانقطاع عن دراستها .

ولقد سأله ذات يوم قائلة « من أنا فى حياتك ، وهل أكون غير طيف عابر؟ » فأجابها

(٣) الحى اللاتنى ص ١٨٢ .

(٤) الحى اللاتنى ص ١٥٩ .

(١) الحى اللاتنى ص ١٦٤ .

(٢) الحى اللاتنى ص ٩٣ .

«وأنا أيضا ينبغي ألا أكون في حياتك يا جانين غير طيف عابر<sup>(١)</sup>». ولكن هل حقًا يمكن لشخصين ارتبطت حياتهما معًا كل هذا الارتباط أن يصبحا طيفين عابرين بالنسبة لبعضهما؟ وهكذا بدأ يطرح على نفسه قضية زواجهما «يتزوجها؟ أية كلمة مخيفة هي؟ وسرعان ما طفرت إلى ذهنه صورة أمه. وأحس بضيق شديد يأخذ بخناقته. ينبغي أن ينحبها الآن على الأقل، هذه الفكرة الكابوس. ينبغي ألا يبقى وحده، مع أمه<sup>(٢)</sup>».

وهكذا نجد وجه أمه يطلّ حين يفكر في علاقته بجانين، فهو مؤمن بأمه، وهي متغلغلة في أعماقه، وإن فصلتها آلاف الأميال. أما جانين فضت تقول له: «لقد طبعني بطابعك وسأظل أبدًا أسيرة قيودك. إن مصيري قد تقرر منذ رأيتك. لم تبق لي إرادة، وسأجرب مع الزمن كما سيتقادمني الزمن<sup>(٣)</sup>.» وحين ذكر أمامها أنه غائب عنها ذات يوم أجابت قائلة «إذن أية فتاة ضائعة سأكون<sup>(٤)</sup>». وأشارت ذات مرة إلى فتيات الشوارع قائلةً لهن سعيدات، لأنهن «يعشن كل يوم على حدة، كل يوم بيومه لا يفكرن، أجل لا يفكرن بالغد...<sup>(٥)</sup>»، ومن قبل كانت قد قالت له «سامحنى أيها الحبيب. إنس الذى قلته لك عن الغد.. عن المستقبل. أنا أيضًا سأحاول أن أنساه<sup>(٦)</sup>». وكان الكاتب يمهّد لنا بذلك إلى المصير الذى كان قد تقرر لجانين مونترو ملخصًا في هذه الكلمات.. الضياع، فتيات الشوارع، عدم التفكير في الغد.

أما في القسم الثالث فتبلغ المأساة قمتها عن طريقين، أحدهما يمهّد للآخر. فبطلنا قد عاد إلى بيروت في إجازة قصيرة، وبذلك واجه أمه وجهًا لوجه، فتجسّد عامل المنع وأصبح بدوره هو «الحاضر» بعد أن كان مجرد ذكرى وكلمات في رسائل يمكن دفعها بعيدًا. أما جانين فقد أخذت هي بدورها تصبح مجرد ذكرى، مجرد كلمات في رسائل، وبهذا توازن الموقف وبلغ الصراع أوجه في نفسية بطلنا، فالسفر هنا من باريس إلى بيروت هو عودة من عالم العشيقة إلى عالم الأم. من العالم الذى حقق فيه الفرد وجوده كله.. غريزته وعاطفته وعقله، إلى العالم الذى ينمحي فيه الفرد في المحيط الاجتماعى الكبير.. الأسرة أحيانًا والوطن أحيانًا أخرى والشرق بمشاكله أحيانًا ثالثة. «لترك باريس وأهل باريس.. أريد أن أعيش معكم

(٤) الحى اللاتينى ص ٢٠١.

(٥) الحى اللاتينى ص ٢٠٦.

(٦) الحى اللاتينى ص ١٨٤.

(١) الحى اللاتينى ص ١٨٠.

(٢) الحى اللاتينى ص ١٨٣.

(٣) الحى اللاتينى ص ١٩٨.

الآن ، معك أنت يا أمي .. حديثي <sup>(١)</sup> . وفي وسط هذا الصراع تطفو ناهدة من جديد ، وناهدة هي الحلّ الذي تقدمه التقاليد أو المجتمع أو الأنا الأعلى ليصرف البطل عن خروجه عليه . هي الرشوة التي يقلمها له لكي يندمج من جديد في مجتمعه وينسى فرديته . وهو يرفض ناهدة ، ذلك الرمز الذي يقدمه له مجتمعه لكي يخضع له بخضوعه لها ، إنه يرفض هذا الخضوع الرمزي الظاهري . ولهذا فبطلنا ممزق هنا ، لأنه ابن عاق في الظاهر ، وهو خاضع في أعماقه . وفي صفحات رائعة يصور لنا المؤلف موقف الفتاة الشرقية « ثم رآها تتراجع فجأة وفي عينها اثاره من خوف .. ولا يدري أى عالم انفتح له في هذه الخطوة المتراجعة ، لقد رأى الفتاة الشرقية ، الفتاة العربية ، تتراجع أمام الشاب ، أى شاب عربيًا كان أم أجنبيًا ، أمام الرجل ، وعيناها طافحتان بالخوف منه . رواسب الخوف تجمعت أجيالاً في هذه الخطوة <sup>(٢)</sup> . ثم صور تصويرًا لا يقل روعةً موقف الفتاة الشرقية المحرومة التي تخاف جسدها وتخاف الرجل الذي يفجر فيها هذا الجسد . وصور - في سخرية مريرة - كيف رفضت ناهدة قراءة مسرحية لبول سارتر لأن عنوانها « المومس » وهي تخشى أن يرى والدها هذا العنوان فيظن بها الظنون . أما أخته هدى فحاولت أن تقف موقفًا وسطًا بين مجتمعه وسعادته ، فهي حين تستعرض صور جانين تطرى جاهلًا ، ولكن حين رأت صورة أخيها يقبل جانين قذفت بالصورة في وجهه ، فهي مستعدة أن توافقه ولكن إلى حين فقط ، إلى حين وليس إلى النهاية أبدًا ، وما لبث أن نظر إلى أخته قائلاً « بلي يا عزيزتي . كم أنت مشوقة إلى مثل هذه الضمة ، كم تحلمين بشفتي رجل تلتصقان بشفتيك يا هدى المسكينة <sup>(٣)</sup> . » وهكذا يحاول بطلنا أن يشرك معه أخته في ثورته وتحقيق وجوده المستقل عن مجتمعه . وما لبثت هدى أن ردّت عليه قائلةً « لا بأس عليك يا أخي .. ولكن حذار أن تطلع أمك على شيء من ذلك . يحيل إلى أحياناً أن نفسها قابلة للحسد » وهكذا عبّرت لنا هدى عن موقف المجتمع الشرقى إزاء سعادة أى فرد فيه ، فهو ليس موقف الفرح ، بل هو « الحسد » . وهكذا كانت عودته لأمه هي التمهيد الضروري للخطوة التالية التي بلغت بها المأساة قمتها ، فعندما تتوازن القوى المتعارضة يبلغ الدرام ذروته ويؤذن إذ ذاك بضرورة تغلب أحد الجانبين المتصارعين . ولقد جاءت الخطوة التالية ، في رسالة بعثت بها جانين من باريس إلى بطلنا ببيروت تقول له فيها : « لقد قصدت

(٣) الحى اللاتى ص ٢٣٩ .

(١) الحى اللاتى ص ٢١٩ .

(٢) الحى اللاتى ص ٢٢٤ .

الطيب أمس . فأبلغني أني سأصبح أما . إنها ثمرة حبنا يا حبيبي . ولست أدري ما ينبغي لي أن أفعله . لكنني أنتظر منك إشارة لأنني لا أملك وحدي أن أتخذ قراراً ما . فإذا أفعل يا حبيبي ؟ » (١)

هناك وجدت الأم ، التقاليد ، الضمير الاجتماعي ، فرصتها الذهبية .. لقد بلغ الصراع ذروته ، وكان الجانب المكافح المناضل يُمتحن امتحاناً شديداً عسيراً « انظر أي مآزق أوقعت فيه نفسك ، وأوقعتنا ؟ » (٢) « هكذا قالت له أمه .

وهو الآن يعيش مع أمه ومع التقاليد التي نما فيها وشرب منها ، ولم تكن جانين الآن سوى مجرد إزعاج للأم والتقاليد التي تكوّن وتكوّن مجتمعه ، فعليه أن ينحيا جانباً حتى يحصل على شيء من الانسجام مع الوسط الذي يكون حاضره « وشعر بأنه معزول عن كل شيء ، خارج من كل شيء » (٣) . واتضح له فجأة أن جانين ليست بكرّاً ، وأنها من غير دينه وأنها تشتغل في مخزن - وكان أهله قد رفضوا من قبل أن تشتغل أخته هدى بالتدريس وكان هو ممن أيدوا هذا الرفض - وأنها فتاة أجنبية ، بل فرنسية بالذات ولقد عرف فرنسيات كثيرات اختلس معهن لذة عارضة ثم مضى ومضين لشئونهن « فدخل غرفته ، وأغلق خلفه الباب ، وجلس إلى طاولته . وحين أمسك القلم ليكتب شعر بأن وجه أمه ، ذلك الوجه المتجدد الهادئ ، المحنك الرزين ، يقف فوق رأسه . لم يعرف إن كانت أمه قد لحقت به حقاً ، ووقفت فوقه جسماً يلمس ، أم أنه قد حمل معه هذه الرؤية إلى غرفته . وأياً ما كان فقد رأى ، وهو يكتب تلك الرسالة ، ظل ذلك الرأس ، رأس أمه يهتر هادئاً ، موافقاً تارةً ومعارضاً تارةً أخرى ، حتى أنجز كتابة هذه السطور (٤) .

وهكذا انكشف تماماً الدور الذي تقوم به الأم خلال القصة كلها . أما ما كتبه فكان تبرؤاً من مسؤوليته تجاه جانين بعد أن نبهته أمه إلى أن « كل ما قد يكتبه في هذا الشأن يمكن أن يسجل عليه وثيقة تدينه لو شاءت هي أن ترفع أمرها إلى القضاء . ولقد زاد هذا في رعبه وترويعه (٥) . وهكذا انتصرت الأم والتقاليد والضمير الاجتماعي .

وكان لهذه الخطوة رد فعلها الطبيعي . إنه يحنّ من جديد إلى الأرض التي حقق فيها وجوده

(٤) المجلد اللاتيني ص ٢٤٦ .

(٥) المجلد اللاتيني ص ٢٤٩ .

(١) المجلد اللاتيني ص ٢٤٢ .

(٢) المجلد اللاتيني ص ٢٤١ .

(٣) المجلد اللاتيني ص ٢٤٣ .

ردحاً من الزمان . إنه يحسن الآن أنه في المنفى ، وأن سجانته لم يكن إلا أمه . لماذا يجب أمه ، لماذا يحس هذا التعلق الشديد بها ؟ لأنها فقط هي التي وضعت في هذه الدنيا ؟ لأنها هي التي سهرت على طفولته وحدثته ؟ لأنها تقضى لياليها كلها وهي إلى جانبه ، في غرفة مجاورة ؟ ولكن إلام يظل حبها من أجل هذا فقط ؟ لا ، لقد بلغ الآن مبلغاً ينبغي له ألا يبه كثيراً لهذا الحب الذي هو أشبه بالعطف وأقرب ما يكون إلى الاعتراف بالجميل . وإنه ليدرك شيئاً فشيئاً أنه يفترق من هذا الكائن الذي يكنّ له ذلك اللون من الشعور إلى رابطة أخرى كفيلة وحدها بأن تكسب حبه إياه معنى سامياً ، معنى إنسانياً .. « اعترف الآن بأنك لم ترمض قواك إلا لتخرج بأن هذا الذي يشدك الآن إلى أمك ليس هو الحب وإنما هو الخشية ، الخشية من أن تشعر بأنك تسيء إليها إذا سلكت هذا المسلك أو تصرفت ذلك التصرف . وأنها الرغبة في أن ترضيها ، في أن ترد لها الجميل الذي أنت مدين لها به ، أيّ ما كان الغن الذي تدفعه <sup>(١)</sup> » إن الصراع إذن بين شخص يحشاه بطلنا وشخص يحبه ، بين تقاليد يحشاه وبين حرية يحبها . « هو على يقين الآن من أن أمه قد استغلّت فيه ضعفه هذا ، حبه إياها أو خشيته منها ، لتملى عليه الموقف الذي ترتبته هي ، من قضية جانين ، وهي قضيته وحده . إن أمه لم تدع له أن يفكر في أمره وينفذ منه إلى الحلّ الذي يراه هو . إنها بذلك قد محت شخصيته ، حطّمت ذاته وفرضت عليه شخصها هي ، وذاتها هي ، فأىّ عبد كنت لها وأىّ ذليل . » وهكذا ثار بطلنا - فيما بينه وبين نفسه فقط - ليكفر عن « الفعل » الذي اتخذه ، فهو لم ينقل هذه الثورة إلى حيز الفعل ، فيبرق إلى جانين بما يفيد اعترافه الضمني بمسئوليته فيما حدث ، كلاً ، بل ثار فيما بينه وبين نفسه فقط . أما في حركته في العالم الخارجي فقد ظلّ « العبد الذليل » كما حلا له أن يصف نفسه . ولم تكن محاولته أن يلعب الروليت إلا لونا من ألوان هذه الثورة التي هدفها إخفات الصراع الحقيقي بدلاً من أن تكون لحسمه وحله ، ولم يكن تخيله لانتحار جانين إلا الرغبة اللاشعورية اللدنية للتخلص من الموقف على حساب عشيقته ، ولم يكن ذهابه للسباحة والشمس إلا أشبه بتصرف النعامة التي تقول عنها الخرافة إنها تحقن رأسها في الرمال حين تتعب من العدو وتريد في واقع الأمر أن تستسلم لصيادها .

ولقد عاد إلى باريس ، ومن جديد أصبحت أمه وتقاليد بلدها مجرد ذكرى ، وأصبحت باريس حاضره . فالانتقال يرمز مرة أخرى إلى محاولة التخلص من سيطرة جانب من جوانب

(٢) الحى اللاتينى ص ٢٤٩ .

(١) الحى اللاتينى ص ٣٤٨ .

النفس ليتغلب جانب آخر . ولكن الأم ، كانت قد تغلبت نهائياً على الجانب المضاد حتى ولو أصبحت مجرد ذكرى . فجانين قد تركت مستشفاها الذى أجهضت فيه قبل وصوله بيوم واحد ، وهى لم تعد إلى فندقها . وفي هذه الأثناء يأخذ اهتمام بطلنا وأصحابه يزداد بالقضايا الوطنية كأنما يجد في ذلك الوسيلة الحقيقية لمكافحة التأخر في مجتمعه ، فهو لن يكافحه بفتاة . فيؤلفون رابطة اسمها رابطة الطلاب العرب في باريس ويتعرضون لمعارضة البعض لهم ، كما يأخذ اهتمامه يزداد برسالته التى يتمها ويناقشها بنجاح . وأخيراً التى بها فى حى الوجوديين وفى كهف من كهوفهم ، ولكن بعد أن كانت قد أصبحت فتاة « ضائعة » . إذن لقد أصبحت ملوثة ، ولكن أليس هو أيضا ملوثاً مثلها ؟ ويحاول لأول مرة أن يحول ندمه الظاهرى إلى فعل حقيقى ، ولكن الوقت قد تأخر . إن جانين التى رفضت من قبل ندم خطيبها هنرى ولم تغفر له خيانتة رغم غموض مستقبلها بدونها ، كانت منطقياً مع نفسها حين رفضت ندم بطلنا العربى رغم ضياعها ضياعاً تاماً بدونها . لقد اصطحبها إلى فندقها الحقيقى الذى تعيش فيه وتركها على أن يلتقى ظهراً ، لكنه حين عاد لم يجدها ووجد منها رسالة فيها تقول « لعل نصيباً من التبعة يقع على عاتق القدر ، الذى جعلك تصل إلى باريس متأخراً يوماً واحداً عن الموعد الذى كان بالإمكان إمساكى فيه دون السقوط فى الهاوية » . ولكن هل كان للقدر حقاً أى دخل فيما حدث ؟ إن عدم تدخل الصدفة فى هذه الرواية هو عامل من عوامل تماسكها الحقيقى . ولسنا نعتقد أن هذا التأخر قد قرر شيئاً جديداً فى مصير بطلنا القصة . فلقد كتبت إليه تقول « إنك الآن تبدأ النضال ، أما أنا فقد فرغت منه ، ومات حسّ النضال فى نفسى . لقد عجزت أن أقوم أطول مما قاومت فسقطت ضعيفة مهيضة الجناح . أما أنت فقد قرأت فى عينيك أسس استعداداً طويلاً جداً للمقاومة والصراع .. لقد وجدت أنت نفسك ، بينما أضعت أنا نفسى .. عد أنت يا حبيبى إلى شرقك البعيد الذى ينتظرك ، ويحتاج إلى شبابك ونضالك » . وهكذا استطاع سهيل إدريس أن يجعل النفس الإنسانية مسرحاً لصراع بين بيروت وباريس ، بين الشرق والغرب . وفى غمرة الصراع بين الأم والعشيق ، فقد بطلنا الزوجة ولكنه حصل على الدكتوراه . أترأه يستطيع بهذه الدكتوراه أن يصلح بين الأم والعشيق ليحصل على الزوجة ؟ هل تراه يستطيع بهذه الدكتوراه أن يصلح بين الشرق والغرب لكي يحصل - ونحصل نحن معه - على السلام ؟ فلا ننسى أن الغرب فى قصة الحى اللاتينى لم يكن مبعث الثقافة والحرية فحسب بل ومبعث الاستعمار أيضاً . ولقد انفصل قواد - هذا الشخص

الذى احترمه بطلنا لقوة شخصيته وإيمانه بمبادئه - قد انفصل عن عشيقته فرانسواز بسبب اشتداد اختلافها حول سياسة فرنسا في تونس . ولكن لأن كانت صديقة قواد تمثل الجانب الاستعماري في الغرب ، فإن صديقة بطلنا العربي تمثل الجانب الشعبي في الغرب الذى يحب حريتنا ويحب نضالنا من أجل الحرية . الجانب الذى « يضع » إذا نحن تخليتنا عن تأييده لنا ، -- كما تخلى بطلنا عن جانين مونترو فضاعت . ولكن أترأه حقاً يضع ؟